عن ايجاد اعمال احسن من اعمالهم . وبالجملة فان الشعب الالماني يرفع اسبابه المادية والادبية عن معدلها السابق في المدن على الاقل

ومعلوم ان كل نجاح مادي لا يقوم الا ببذل النفس والنفيس في سبيله فالعامل والسوقة من الالمان يدفعون اجور منازلهم اغلى من ذي قبل وهي جديدة البنيان واذ اصبحوا ينفقون على معيشتهم اكثر اضطروا ان يسعوا في زيادة اجورهم ومداخيلهم وهذا هو السر في قيام الاعتصابات واتحاد الطبقة السافلة مع اهل حزب الشمال الذي يعنى اهله بتحسين حالة الشعب واعطائه من النفوذ السياسي اكثر مما كان له

زاد نماء الشعب وانتشار الصناعة عنصر سكان المدن في المانيا . فكان سكان برلين سنة ١٨٧١ ٨٠٠ الف فأضافوا اليوم على مليونين وصار سكان همبورغ زهاء ٨٠٠ الف وارتفع عدد سكان كولون من ٢٠٠ الى ٤٤٠ الف فزاد عدد سكان المدن الكبرى ثلاثة اضعاف بعد الحرب السبعينية وهو يزيد على معدل ١٥ في المئة كل خمس سنين وليس في الارياف غير ٤٣ في المئة من مجموع سكان البلاد . وانتشرت الديمقراطية في المدن اسرع منها في الضواحي والقرى حيث يعتزل الاصاغر فيضعف امرهم ولا يلتفت الناس الا الى القيام على الزراعة وتربية الماشية اما ساكن المدن فهو اكثر علماً وحركة وحضارة . ويسهل بث الدعوة الديمقراطية في عقول عملة المدن فان اجتماعهم في صعيد واحد من الارض يزيدهم قوة ومضاء . وقد كان الصناع في كل زمن اسرع الى النشوء في الديمقراطية من سكان الريف المزارعين اذ الفلاح في العادة من المحافظين وعامل المدن من الديمقراطيين . هكذا هو الحال الآن وهكذا كان الشأن في قديم الزمان . فقد ظلت اسبارطة منصرفة الى الزراعة وحكمها ارستوكراطياً عدة قرون واصبحت آثينا ديمقراطية منذ انتشرت فيها الصنائع وراجت اسواق التجارة

نوع من نقد الشعر

(قلّ في رجال الادب قديماً وحديثاً من تكتب لم الاجادة في النظم والنثر وقد عرف مصطفى صادق افندي الرافعي بين قراء العربية بانه من افراد الشعراء البلغاء ولو انصفوه لوصفوه بالكتابة كما وصفوه بالشعر . والنبذة التالية مقتبسة من مقدمة الجزء الثالث من ديوانه وهو تحت الطبع وفيها نموذج من نثره)

الشعر تصوير عالم حي من المعاني والالفاظ فالمجيد من جعله مختصراً من صورة العالم كله . ولا بدّ فيه من شعاع من الروح اذا تجردت له النفس امتزجت لطافتها بلطافته .

وربما أخذ المرء بلذة التصوّر فظنها في مكان نفسه وحسب نفسه في مكانه

ونحن ناظرون الى نقد الشعر من هذه الجهة التي يتمثل فيها حيًّا من الاحياء . يتنازع انواعه البقاء . فقد افاض المتقدمون في الاسباب التي يحسن بها ما يحسن من ظاهره و يقبح منه ما يقبح . وجردوا الكتب في طبقات الالفاظ ومخارج الاشعار وسقطات الكلام والطفوا النظر في وجوه المعاني ومواضعها . واصابوا منها صفة التمكن في مبادئها ومقاطعها . وانك لتجد فيما وضعوه من علوم البلاغة البحر الزاخر بهذه الامواج . والفلك الدائر بتلك الابراج

يرتقي المبتدئ في الشعر من مطلق النظم الذي هو النمط المصطلح عليه في اقامة الوزن الى الفكر فيما يجيء به . فاذا صارت له هذه المنزلة ادته الى الخيال . فاذا ارتفع شيئًا بعد ذلك فهو في جو الروح الذي يسمونه التصوّر وهناك حدّ الطبيعة القائم . وحجاب الغيب القائم . فيكون في منزلة بين الوحي والالهام ويمر هناك خاطره على النفوس كما ينتقل على الارض ظل الغمام .

وتلك هي اطوار الشعر من طفولته التي يعبث فيها بكل شيء ولا يفقه شيئًا . الى شيبته التي يتماسك فيها وقارًا ويندفع . الى شدته التي تعتصم بها الحكمة وتمتنع . الى شيبه الذي هو نور الجمال . والحظ المقسوم له من الكمال

والشاعر في الطور الاول كالصبي في يده القوس يغرق في نزعها ما يغرق ثم لا يكون الا ان يسمع لها ارنانًا ضعيفًا فلا هو غلب وهمه . ولا رمى سهمه . فاذا اشتد ساعده وانتقل الى الطور الثاني كان في منزلة بين الخطإ والصواب . فاذا بلغ الى الثالث احكم التسديد . واستوى عنده في الاصابة ما كان من قريب وما كان من بعيد . ومتى صار الى الطور الرابع وهو منتهى كماله حسب توزّع الطير في الجوّ لمخافته . ولفرق الوحش في البر لمهابته . وصارت هي السهم لانه في اثرها . ولفظته عن القنيصة هي القضاء لانه في خبرها

وما يكن من عيب في الشاعر فلن تجد فيه كتسلط فكره عليه وعبثه بقوافيه فتراه ينظم الكلمة ابياتًا لا معرفة بين اولها وآخرها ثم يجيء بعد جفاف الزبق وتخلخل اللسان وانقطاع النفس فيمضي فيها اختياره ويأخذ في التوفيق بينها وهي متنافرة . و يعمل على التعريف وهي لا تزال متناكرة . فمثل الكثير من هذا الشعر مثل الكلمة المفردة اذا نطقت بجملتها ادت اليك معناها على اتم ما يكون فاذا فككت احرفها ولفظتها حرفًا حرفًا انقلبت الى قول هراء . ولم تزد على ان تكون اصواتًا ذاهبة في الهواء . واولئك هم الذين قال في شعرهم ابن ميادة انه « كلفة وتملح »

فاذا لم يكن فكر الشاعر عند ارادته ولم تكن ارادته عند اتجاه عواطفه أخذت عليه

منافذ القول فاختل . واضطربت جهات رأيه فانحل . وصار من نضوب المادة في آخرة امره كمن يكتب بقلم ليس عليه الا مسحة من ردع المداد فكلما كدّه جمد . وكلما هزّه ركد . فاذا كتب مع ذلك جاء الحرف مفرق الجهات لثيماً في الحروف فلا هو كتابة ولا هو محو

ولقد يحار المرء اذا نظر في شعر العرب ورأى الكثير منه لا يتعدى الوزن والقفية ولكن اكبر حظ القوم من شعرهم ان ينقلوا الكلام الى نمط يتفق مع النغم كما ترى في غناء هذه الايام فهو لا يزيد عن سائر الكلام الا النمط والايقاع بحيث انك لو سمعته وقد جرد من الحانه لخرجت منه على حساب ما دخلت فيه لا طرب ولا عجب .

والغناء على أي وجوهه ينقل النفس من تنقيبها بين الالفاظ عما هو حسن وغير حسن الى تحركها على الالفاظ نفسها . وانما النظم العربي اوزان موسيقية . فكل من جاء بعد العرب من الشعراء لا ينظر الا في اعطاف اللفظ وتلاحم الكلمات وانتظام تلك المعاني القديمة فهو من الجاهلية الثانية وان كان الاولون قد سموا جاهلية لعبادة الاوثان . فهؤلاء لعبادة الاوزان

ويكاد شعر العرب ينحصر في غرضين الشاهد والمثل فقد كانوا لا يطلبون من الشعر غيرهما كما لا يطلبون من الخبر الا الايام والمقامات . وكان ابدع ما يروج عنهم من اجل ذلك مساق الخبر ومضرب المثل ومقطع الحكمة . والحكيم فيهم يومئذ نبي

ومن ههنا تجد مثار الخلاف بينهم في قولهم هذا اشعر الناس في كذا وذلك اشعر الشعراء وغيرهما اشعر الانس والجن . وهلم جرا

وما عدا ذلك ففي شعرهم من الطرف المستنكرة ما يغلظ على الطبع ويثقل على الذوق فمنهم من يشبه وجه الحسناء ببيضة النعام . ومنهم من يشبه جسمه الناحل بأشلاء الجمام . . . الى غير هذا مما تهجنه الحضارة ولهم مع ذلك وجه عذر فيه ومنفسح للوم عنه . وانما ذكرناه مأخذا على قوم جاؤا بعدهم فجعلوا الشعر صوراً من تلك المعاني تخطر في حلي من الالفاظ على اكثرها صدأ الركاكة وغبار القدم . . . فتراجع الشعر بينهم وتعطلت قرائحهم حتى اصبحوا في اتصالهم بمن اولئك الشعراء كما شبه ابو هفان شعر آل ابي حفصة الذين كان آخر شعرائهم متوج وكان رجلاً ساقطا وذلك في قوله : (شعر آل ابي حفصة بمنزلة الماء الحار ابتداؤه في نهاية الحرارة ثم تلين حرارته ثم يفتر ثم يبرد . وكذا كانت اشعارهم الا ان ذلك الماء لما انتهى الى متوج جمد . . .)

واعجب شيء رابته في تاريخ الشعر انه كان عصر يسمون فيه المولد (بالرقيق) ثم صار هذا الاسم علماً بالغلبة وأطلق على الغزل السمط والرثاء السائل ثم عدوا منه انواعاً عرفوها (بالالفاظ الملوكية) وأجروها في بعض التشبيبات والاوصاف وما اليها . كأن الشعر كان

مقضياً عليه ان يبقى في الموتى حتى يموت الاحياء . وان يكون اهله نصباً على جانبي تلك البيضاء التي كان فيها شعراء الجاهلية . ! وحسبك ان اعداء ابن المعتز لم يزروا على غير نحته وسبكه ولم يحاولوا استلطه الا من بينهما وهو بالاجماع في السفح من طبقات الشعراء

ومنتهى الحق أن نجعل مولد ذلك النمط الجاهلي فان السر في بقاء شعر الجاهلية والمخضرمين بعد اهله حاجة الرواة والعلماء الى الشاهد منه فلما استطوا الاستشهاد بكلام المولدين لما يدخل عليهم من الغلط ولضعف الثقة بلغتهم سقطت هذه الطبقة بعلة طبيعية وهي سنة (بقاء الانسب)

والعرب انما ابتدأت الشعر بما كان عندها من جزالة اللفظ واتقان بنية القريض واحكام عرض القافية ونحوها مما هو طبيعة فيهم فكان على من يخلفهم ان يأخذ في زخرف البناء وزينته بعد ان يكون قد تم منه ما لم يتم وهو الذي فعله ابو تمام والمتنبي ومن في طبقتهما من اهل القوة والكفاية ثم كان على من يجيء بعدهؤلاء ان يزيدوا من تحف عصورهم ومدنيتها طبقة بعد طبقة حتى يكون ذلك الموضع ديواناً للتاريخ ترتب فيه العصور . ونقف على ابوابه الدهور . ولكنا نجد الى عيدنا طوائف تنقض ذلك البناء ونقيم على اساسه فلا يلبث ان يقع الاثنان معاً

والشعر اقسام كانت محدودة على مانوعها ابو تمام في حماسته ثم جاء من تفنن فيها وذهب كل مذهب كابن ابي الاصبع وغيره . وقرأت ان البديع الاسطرلابي رتب ديوان ابن حجاج (١) على مائة واربعين باباً وواحد . ثم قفى كل باب وجعله في فن من فنون شعر الرجل

ولكن الذي قطع بالشعر العربي دونه انما هو النوع الذي يسميه الافرنج بالشعر القصصي ومنه الملاحم الكبرى عندهم كالالياذة وغيرها . والبسيط منه نادر في العربية بل هو في بساطتها كالظل شيء كلا شيء

ذلك لان الشعر العربي روح هذه اللغة وهو من اللطافة بحيث لا يضيء فيه المعنى الا بشعاع من الخيال . فاذا اردت ان تقيم منه حديثاً سوي التركيب . كامل الترتيب . زوت عليك القافية وتقطع الشعر فلا تدري من اين تأخذ ولا من اين تدع . كالنور اللطيف تحاول ان تلقي عليه كثافة الغطاء فاذا هو منبسط فوق ما تلقي فما تأت من ذلك لا تكون قد صنعت شيئاً

ورأس هذا الامر عندنا على ما يقول شبيب بن شبة « حظ جودة القافية وان كانت كلمة واحدة ارفع من حظ سائر البيت » فلا بد لهذا النوع في لغتنا من وضع جديد يكون وسطاً

(١) ابن حجاج هذا رجل من شعراء العراق كان في القرن الرابع للهجرة وكان كثير السخف في شعره يمزجه بلغات الخليعين والمكدين وامثالهم وهو النمط الذي انفرد به

بين النثر والنظم حتى يحمل الالفاظ والمعاني معاً فيتعلق فيه الشعر بالنفس ويمتد السباق على النفس كما فعل الاندلسيون في وضع الموشحات لحاجتهم التي بعثتهم عليها والعصر يومئذ فيه وترف . والادب مجد وشرف

وأساس هذا الشعر سلامة الذوق فهي الحاسة التي تتجه بها النفس الى المعاني وتنقلب عنها . بل هي العين المركبة في الروح تجمع جمال الطبيعة في نظرة واحدة فتنقله الى الاحساس كما تمد العين الباصرة بمرئياتها وهي المخيلة . ومن الشعراء من يكون سقيم الذوق فهو في نظره الى الشعر مع فساد ذوقه كالاخص في نظرته الى الحسناء اذا وسوس حليها في مسمعه . يغفل منها عما ينتبه اليه الناس وينتبه لما يغفلون عنه

ومن هؤلاء طائفة الشعراء المصنعين وهم الذين لاحظ لهم الا في (الصنعة الشعرية) وفنونها لا تعد فيجيشون بالقصيدة كلما رفع لهم يتنافسون في هذا التصدير ولا يدرون ان الثوب الساذج من قطعة واحدة خير من هذه الرقع كلها وان كانت من انفس الخز والديباج وانظر ما يكون موقع هذا الثقل من الادباء فقد اراد ديك الجن الشاعر مرة ان يهول على دعبل ويقرع سمعه فانشده بيتاً مضطرباً . . . فقال له دعبل اسكت فو الله ما ظننتك تتم البيت الا وقد غشي عليك او تشكيت دماغك . ولكأني بك في جهنم تخاطب الزبانية او تخبطك الشيطان من المس

والعلة الطبيعية في بؤس الشعراء هي ذلك الاحساس المتصل بالنفس فكلما عمرته المؤثرات تحول منه بمقدار الضغط بخار روحاني ينتشر حولها وذلك هو الشعر . وقد ترى النفس فيه ضوءاً كأنه تبسم القلب الحزين الذي تشابه جلال الطبيعة بجلاله . لانها مخلوقة في رأي النفس على مثاله

وقد يكون للشاعر متسع في غلوه وكبريائه على هذه الطبيعة الا في المواطف التي هي روابط القلوب بالقلوب . وموضع الصلة بين ما في الوجود وما وراء الغيوب . فقد يضرب في كلامه بسيف لم يطبع . ويرمي بقذيفة لم تصنع . ويقطع من خيوط الحياة ما لم ينقطع ولكنه فيما دون ذلك لا يقدر ان يذكر الحب من قلب لم يحب . ويثبت للشيء الذي لم يجرب عليه حكم الوجوب شيئاً مما يجب . فاذا هو قول اطفأت الطبيعة من رواته . وقامت عواطف الناس شاهدة على كذبه في ادعائه . وقد ذكروا ان كسرى سمع الاعشى يتغنى ذات يوم بقوله:

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي معشق

فقال ما يقول هذا العربي ؟ قالوا يتغنى بالعربية فأمر ان يفسروا قوله فقالوا زعم انه سهر من غير مرض ولا عشق . فقال هذا اذا نص . . . !

والشعر اسالیب تتجبها القرائح ولكن جماع القول فيها انها تمثيل للطبيعة فكأن الشاعر ينقل مناظر الارض الى الروح العالية التي ترسل الى الجسم شعاع الحياة فتزيد تلك المناظر في قوة الشعاع الالهي فلا يتصل بالجسم حتى تفيض هذه القوة على القلب فتهزه الهزة التي نعرف منها الطرب

فاي امريء اجتمعت له قوة التخيل وسلامة الذوق وهما يكونان عند سعة العقل وسمو الطبع فذاك الذي هو في معناه بين الملك والانسان وهو الشاعر

مطبوعات ومخطوطات

الموسيقى الشرقي

فن الموسيقى من الصنائع الجميلة التي تضعف في كل امة بضعفها وتقوى بقوتها. ولقد كان العرب ايام حضارتهم يعنون بها كما يعنون بالشعر والادب والتاريخ والفلسفة وعلوم الطبيعة وكان بعض العلماء في امهات المدن لا يتحرجون من الغناء ولا يرون الضرب على العيدان والاوتار وسائر آلات الطرب حطة في قدرهم وثلمًا لشرف وقارهم. ولما رغبت الامة عن العلم ايًا كان نوعه وزهدت في الضروري من المعارف دع عنك الكمالي اخذ معظم الناس يحتقرون الغناء والموسيقى ومن يتعاطاهما ولا ذنب بعد الجهل.

ولقد الف الموسيقار الفاضل كامل افندي الخلعي من مشاهير اوربا في هذا الفن في مصر كتاب الموسيقى الشرقي فعرف القوم فائدة هذا الفن ومركزه من المجتمع وما الى ذلك من وصف الالحان وآلات الطرب ورسومها ومشاهير المطربين والموسيقيين في مصر هذا العصر مشفوعة بصورهم فجاء كتابه غاية ما يكتب لمؤلف في فنه من الاجادة بحيث اصبح المرجع في كل شاردة ونادرة في هذه الصناعة الجميلة الشريفة.

اجاد المؤلف اثابه الله في وضع تأليفه كما اجاد في طبعه واتقان صنعه فجاء في زهاء مائتي صحيفة كبيرة القطع على اجود ورق والطف حرف وهو يباع بعشرين قرشًا مصريًا ويطلب من جميع المكاتب الشهيرة بالقطر فنثني على المؤلف لما عاناه من التعب في وضع مصنفه ونحث كل اديب على مقتناه فهو زينة المكاتب والقاطر ومن كتب العلم الحقيقي النافع

نظام العالم والامم

العالم الاديب الشيخ طنطاوي جوهري طريقة تكاد تكون خاصة به من مزج العلوم الحديثة بالعلوم القديمة وتطبيق المعقولات على المنقولات وقد وضع فيها عدة كتب ومنها